بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الشباب في الإسلام

ما أعظم مكانة الشباب في الإسلام ، والمتابع لأحداث التاريخ الإسلامي يجد أن معظم حركات التغيير في تاريخ الأمة كانت على يد الشباب ، وليس هذا من قبيل المصادفة ، بل هي سنة مطردة ، وحدث متكرر ..

وراجعوا معي التاريخ الإسلامي ..

عندما نزل الوحي على رسول الله ﷺ.. إلى من توجه برسالته؟

من هم الذين حملهم تبعة هذا الدين؟

من هم الذين ائتمنهم على حمل الإسلام؟

من هم الذين اعتمد عليهم في تغيير نظام الحياة في مكة كلية.. بل في تغيير نظام الحياة في الأرض بكاملها، وليس في زمانه بل وإلى يوم القيامة؟

من هم السابقون السابقون؟

من هم أفضل أجيال الأرض، والذين وصفهم رسول الله ﷺ بقوله الذي رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

من هم الذين سيواجهون جبابرة وطغاة مكة، وطواغيت الجزيرة العربية، ثم سيدكون بعد ذلك حصون وقلاع فارس والروم، ويزلزلون عروش كسرى وقيصر؟

من هم الذين سيسبحون ضد التيار في كل هذه البحار المشركة؟

من أيها الشباب؟!

راجعوا التاريخ، واقرءوا السيرة، واطلعوا على هذه النماذج:

- **الزبير بن العوام رضي الله عنه:**

حواري رسول الله ﷺ، وفارس الإسلام، والبطل المغوار، والدعامة الثابتة للدعوة الإسلامية..

كم كان يبلغ من العمر وقت إسلامه؟

إنه كان في الخامسة عشرة من عمره!!

أي أنه لو كان في زماننا لكان في الصف الثالث الإعدادي أو الأول الثانوي على الأكثر..

ونظرة إلى شبابنا في الإعدادية!..

هل طالب الإعدادية الآن يفكر ويحلم ويتمنى ويعمل كما كان الزبير بن العوام رضي الله عنه يفكر ويحلم ويتمنى ويعمل؟

لابد أن هناك خللاً..

ولابد من وقفة للحساب والمراجعة..

لماذا يخلو ذهن طالب الإعدادي أو الثانوي أو حتى الجامعة من كل ما هو مفيد، ولا يبقى في ذهنه إلا بعض الأفلام الساقطة، والأغنيات الهابطة، والألعاب السخيفة؟ لماذا يبقى الشاب ساعات وساعات أمام شاشات التليفزيون والإنترنت والفيديوچيم، ويبقى الساعات والساعات في صالات البلياردو وعلى كورنيش النيل، ولا يصرف من وقته ساعة لدين أو لعلم أو لفكر أو لرحم أو لدعوة أو لغاية نبيلة، أو مهمة جليلة؟

لابد من وقفة!!

- **طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:**

أحد الدعامات الرئيسية لجماعة الإسلام الناشئة في مكة، وأحد كبار الدعاة إلى الله، وأحد الفرسان المشهود لهم بالكفاءة والمهارة والشجاعة والإقدام، وأحد أعلام الإنفاق في سبيل الله، والذي أطلق عليه رسول الله ﷺ لقب «طلحة الخير».

هذا الصحابي الجليل العظيم كان عند إسلامه في السادسة عشرة من عمره!!

- **سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:**

الصحابي العملاق.. أول من أراق دمًا في الإسلام، والوحيد الذي فداه رسول الله ﷺ بأبيه وأمه، حيث قال له يوم أحد:

«ارْمِ سعد، فداك أبي وأمي»، وذلك فيما رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

سعد بن أبي وقاص المجاب الدعوة، والميمون النقيبة، والعظيم الأثر..

كم كان عمره عند إسلامه؟

لقد كان في السابعة عشرة من عمره!!

- **الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه:**

الرجل الذي يحمل اسمه ذكريات عظيمة هائلة لكل مسلم، فهو الذي استضاف الدعوة الإسلامية في بيته – على خطورة هذا الأمر – ثلاثة عشر عامًا كاملة في مكة، مع الأخذ في الاعتبار أنه من بني مخزوم، وهي القبيلة التي تتنازع لواء الشرف مع بني هاشم، وهو يستضيف الرسول الهاشمي في بيته، ولاشك أن ذلك سيسبب له حرجًا بالغًا مع زعماء قبيلته وأقاربه، ولا ننسى أن زعيم قبيلة بني مخزوم هو أبوجهل شخصيًا، وهو أعتى عتاة الإجرام والبطش في مكة، وهو فرعون هذه الأمة، ولو أدرك أن واحدًا من قبيلته

يستقبل في بيته الرسول ﷺ وأصحابه، لكانت الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، ومع كل ذلك فقد قبل الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه بهذه المخاطرة، وضحى بنفسه هذه التضحية البالغة من أجل الإسلام..

كم كان يبلغ من العمر هذا البطل العظيم عند إسلامه؟!

لقد كان في السادسة عشرة من عمره!!

ل؟!

نحن عندما نقرأ هذه الأسماء الخالدة.. الزبير وطلحة وسعد والأرقم رضي الله عنهم أجمعين، نعتقد أننا نتعامل مع رجال كبار جدًّا.. والواقع أننا فعلًا نتعامل مع رجال كبار جدًّا، ولكن ليسوا كبارًا في السن، وإنما هم كبار في المقام وفي العقل وفي الجهد وفي الإيمان وفي العمل وفي الأخلاق.. هؤلاء الشباب كانوا رجالًا كبارًا بمعنى الكلمة، وهم في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة أو السابعة عشرة من أعمارهم..

- **علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

وما أدراك من علي بن أبي طالب رضي الله عنه!!

إنه الطفل الذي كان في العاشرة من عمره.. فقط في العاشرة!!

!!

سبحان الله!!

إن هذا يحمل معنى هائلًا لابد أن نقف أمامه.. وهو أن عقل هذا الطفل الصغير غير المكلف يستوعب أمورًا هي من الدقة بحيث قد تخفى على عقول بعض الشيوخ.. لقد استوعب هذا الطفل فكرة الوحدانية، وفكرة النبوة والرسالة، وفكرة الوحي والملائكة، وفكرة البعث يوم القيامة، وفكرة الجنة والنار، وفكرة العمل لله، والحياة في سبيل الله، بل والموت في سبيل الله..

لقد استوعب كل ذلك وهو في العاشرة من عمره!!

وفقه هذا الطفل أيضًا في هذه السن الصغيرة سرية المرحلة، وتعلم كيف يخفي أموره عن أقرب الأقربين إليه، وكيف يتجه سرًّا إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، وكيف يصلي في خفاء، ويقرأ القرآن بعيدًا عن أعين الناس..

ر..

بعض الآباء والمدرسين والمربين يشفقون على الأولاد من المعلومات المكثفة، أو من الواجبات الثقيلة، فيكتفون بحشو هذا العقل ببعض القصص التافهة وأفلام الكارتون، وألعاب الكمبيوتر، وأسماء اللاعبين والفنانين والفنانات، وهم بذلك يهدرون طاقات لا حصر لها.. ويُقلصون من إمكانيات عقلية هائلة عند الأطفال..

وليس علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثالًا أوحد للطفل النجيب في الإسلام، فالأمثلة فعلًا قد يتعذر سردها لكثرتها، فما من طفل من أطفال الصحابة إلا وله موقف ومواقف تدل على سعة إدراكه، ودقة فهمه، وجلاء بصيرته..

- **زيد بن ثابت رضي الله عنه:**

ترى ما هي أحلام هذا الطفل العظيم الذي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، وكان لم يبلغ الحلم بعد، وكان صغير البدن، قليل البنية؟

لكن – سبحان الله – مع صغر سنه، وصغر بدنه إلا أنه كان مشغولًا بأمته الإسلامية انشغالًا تامًّا.. لقد سمع الطفل زيد أن جيش المسلمين يستعد للخروج إلى بدر للقاء المشركين، فتحركت الحمية لهذا الدين في قلبه الصغير الحجم، الكبير القدر، فحمل سيفه، وكان السيف أطول منه!! وذهب لينضم إلى جيش المسلمين!!

بصدق إلى الجهاد!.. لقد استوعب عقله قضية الجهاد في سبيل الله، ولقاء الأعداء، ونصرة دين الله، وتحمل الآلام والجراح والمشقة في سبيل رفعة هذه الأمة وسيادتها..

ولكن الطفل الصغير الطموح فوجئ مفاجأة قاسية عند ذهابه لمكان تجمع الجيش، فقد استقبله رسول الله ﷺ مع غيره من المجاهدين، فوجد أنه صغير في السن والجسم فخاف عليه الهلكة، فرده ولم يقبله في الجيش..

وكانت هذه مأساة حقيقية لزيد بن ثابت رضي الله عنه!!

لقد عاد إلى أمه «النوار بنت مالك» رضي الله عنها وهو يبكي من شدة الحزن!..

مع الحدث..

لقد كان الالتحاق بجيش المسلمين أمنية ومطمحًا عند زيد بن ثابت وعند أطفال وشباب المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.. لأن غاية الجيش كانت واضحة، ومهمته نبيلة، والتعامل فيه بين القائد والجنود على أساس التقوى والإسلام..

أما عندما فُرغت الجيوش من قيمتها، وضُيعت أهدافها، واضمحلت غاياتها، وساءت فيها معاملة القواد لجنودهم، فإن الحال تغير أقصى درجات التغيير، حتى رأينا شباب اليوم – وهو معذور – يقيم الأفراح، ويتلقى التهنئة، إذا أفلح في أخذ الإعفاء من الجيش، ولو عن طريق الكذب أو الوساطة أو الرشوة أو غير ذلك من الأمور غير المشروعة، بل وقد لا يستنكر الشاب أن يذكر أمام القاصي والداني أنه قريب الضابط فلان أو الوزير فلان، وأنه قد توسط له ليُعفى من الجهاد والجندية.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

ونعود إلى الطفل العملاق زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقد عاد إلى أمه يبكي ويقول: منعني رسول الله ﷺ من الجهاد..

لكن الأم العاقلة المربية الفاهمة لدينها المدركة لمواهب ابنها، قالت له: لا تحزن، تستطيع أن تخدم الإسلام بصورة أخرى، إن لم يكن بالجهاد بالسيف، فليكن بالجهاد باللسان والقلم!!

لقد لفتت الأم الداعية «النور بنت مالك» رضي الله عنها نظر ابنها – كما لفتت أنظارنا – إلى أن مجالات العمل لله واسعة ومتشعبة، وأن إمكانيات البشر مختلفة ومتفاوتة، وأن الذي لا يستطيع أن يؤدي في مجال يستطيع أن يبدع في مجال آخر.. وكل ميسر لما خلق له..

قالت الأم الذكية لابنها المتحمس: أنت تتقن القراءة والكتابة – وهذا نادر في ذلك الزمن – وأنت تحفظ كثيرًا من سور القرآن الكريم حفظًا جيدًا، فلنذهب إلى رسول الله ﷺ لنرى كيف يمكن أن نوظف هذه الطاقات لخدمة الإسلام والمسلمين..

يا لروعة التفكير، وصدق الاجتهاد، وعمق النظرة!!

وذهبوا بالفعل إلى رسول الله ﷺ مع بعض الرجال من قبيلتهم، وهم جميعًا يرجون من الرسول ﷺ أن يقبل زيد بن ثابت رضي الله عنه في عمل يخدم الإسلام والمسلمين..

ل الله ﷺ:

«يا نبي الله، هذا ابننا زيد بن ثابت يحفظ سبع عشرة سورة من كتاب الله، ويتلوها صحيحة كما أنزلت على قلبك، وهو فوق ذلك حاذق يجيد الكتابة والقراءة، وهو يريد أن يتقرب بذلك إليك، وأن يلزمك، فاسمع منه إن شئت».

فاستمع رسول الله ﷺ إلى زيد رضي الله عنه، واكتشف مهارته وقدرته على الحفظ، وقدر قيمة المهارة التي يتقنها زيد رضي الله عنه فوق الحفظ، وهي مهارة الكتابة والقراءة، ولم يستصغر سنه، أو يقلل من شأنه، بل طلب منه طلبًا

ل الله ﷺ:

«يا زيد، تعلم لي كتابة اليهود، فإني لا آمنهم على ما أقول».

لقد أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم لغة أجنبية مهمة في ذلك الوقت، ولأغراض سياسية هامة قد تؤثر تمامًا على سير العلاقات الدبلوماسية والحربية بين أمة الإسلام واليهود.. هذا مع كون زيد بن ثابت رضي الله عنه في الثالثة عشرة من عمره!

وقد صدق حدس رسول الله ﷺ، فإن زيدًا رضي الله عنه أكب على دراسة اللغة العبرية فأتقنها في وقت يسير جدًّا، وصار يتكلمها ويكتبها كأهلها، ثم إن الرسول ﷺ طلب منه أن يتعلم أيضًا اللغة السريانية، وكانت من اللغات الدارجة في ذلك الزمن، فتعلمها زيد رضي الله عنه، صار بذلك ترجمان الدولة الإسلامية، والشريك الدائم في أي مفاوضات أو مراسلات بين القبائل الأجنبية والدولة الإسلامية..

كل هذا وهو في الثالثة عشرة من عمره!!

ات الشباب؟!

ثم إن الرسول ﷺ اطمأن إلى إتقانه أكثر وأكثر، فأمنه على ما هو أخطر من المراسلات والعلاقات الدبلوماسية، لقد أمنه ﷺ على وحي السماء، فطلب منه أن يكتب القرآن، فكان إذا نزلت عليه مجموعة من الآيات طلب زيدًا رضي الله عنه، وقال له: يا زيد، اكتب، فيكتب زيد رضي الله عنه، فصار بذلك من كتبة الوحي..

ومرت الأيام، ومات رسول الله ﷺ، وشعر المسلمون بالمأزق الخطير الذي

قد يتعرضون له إذا فقدوا آية أو آيات من القرآن الكريم، فالقرآن الكريم لم يكن مجموعًا في كتاب واحد أيام رسول الله ﷺ، ويُخشى على الأجيال القادمة أن تفقد جزءًا من القرآن، أو على الأقل تفقد ترتيبه، وهنا أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن في كتاب واحد، وبعد مناقشات ومحاورات قبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الفكرة، ولكن تبقى مشكلة خطيرة، فعلى أكتاف من ستلقى هذه التبعة الضخمة، ولم يجد أبوبكر الصديق رضي الله عنه أفضل من زيد بن ثابت رضي الله عنه ليقوم بهذه المهمة الخطيرة جدًّا، فهو إلى جانب كونه يتقن القراءة والكتابة، فقد كان من كتبة الوحي، ويعلم دقائقه، ومتى نزلت الآيات، وكيف نزلت، ولأي سبب نزلت، وترتيب نزولها، وكيفية جمعها مع الآيات السابقة واللاحقة..

وهكذا كلف زيد بن ثابت بهذه المهمة الشاقة جدًّا، مع كونه وقت جمع القرآن كان في الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين فقط من عمره، أي أنه لو كان في زماننا فإنه لن يكون قد انتهى بعد من دراسته الجامعية، ومع ذلك فقد وضعت على أكتافه مهمة لا توضع إلا على أكتاف الأساتذة والمعلمين البارعين المتميزين، وهذا في وجود العدد الضخم من شيوخ الصحابة والسابقين إلى الإسلام.. ولكنه قُدم عليهم جميعًا بكفاءته ومهارته وقدراته الهائلة مع كونه شابًّا صغيرًا..

:

«والله، لو كلفوني نقل جبل من مكانه، لكان أهون عليّ مما أمروني به من جمع القرآن».

ومع ذلك نجح الشاب الصغير زيد بن ثابت رضي الله عنه في المهمة

الجليلة التي تحتاج جيلًا كاملًا من العلماء..

ات الشباب!!

معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، ومعوذ بن عفراء رضي الله عنهما:

وهذان الشابان الصغيران جدًّا لهما من الأثر ما لا يتخيله أحد أو يستوعبه، فالأول في الرابعة عشرة من عمره والثاني في الثالثة عشرة من عمره، ومع ذلك فهما يسارعان بالانضمام إلى جيش المسلمين المتجه إلى بدر، وعلى عكس زيد بن ثابت رضي الله عنه فإنه كان يبدو عليهما كبر السن نسبيًّا، وقوة الجسد مما جعل رسول الله ﷺ يقبلهما في الجيش المقاتل..

ومع كونهما في هذه السن الصغيرة لكن سبحان الله كان طموحهما أكبر بكثير من طموح كثير من الرجال أو الشيوخ!..

وأترك عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه كما جاء في البخاري يصور لنا موقفًا عجيبًا لهذين الشابين العملاقين حقًّا!

:

«إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُّ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما»..

وهما معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، ومعوذ بن عفراء رضي الله عنهما..

فعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يتعجب من وجود هذين الغلامين الصغيرين في معركة خطيرة كبدر، ولم يشعر بالأمان لأنه لو هجم عليه أحد المشركين فلن يجد – في اعتقاده – مساندة أو مساعدة ممن حوله لصغر سنهما..

ثم يكمل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فيقول متعجبًا:

«إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل».

وكان هذا الذي تكلم هو معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، وهو من الأنصار، فلم يكن قد رأى أبا جهل قبل ذلك، ولفت نظر عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه هذا السؤال عن قائد جيش المشركين، وجبار مكة، وفرعون هذه الأمة، فسأل الغلام الحدث: «يا ابن أخي، فما تصنع به؟».

فرد الغلام الصغير ردًّا أذهل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه!..

قال معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما: «أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا!».

ا الله!!

كم هو خالد هذا الموقف!!

الغلام الصغير الذي يعيش في المدينة المنورة، سمع أن رجلًا يسب رسول الله ﷺ في مكة على بعد حوالي خمسمائة كيلو متر من بلده، فتحركت الحمية في قلبه، والغيرة على حبيبه رسول الله ﷺ، فقرر أن يفعل شيئًا يدافع به عن معتقداته ومقدساته، وجاءت الفرصة في بدر عندما جاء الله عز وجل بأبي جهل إلى بدر، ليسهل على الغلام الصغير أن يلتقي بأبي جهل.. فقرر أن يقتله بنفسه!!

إنه أقسم قسمًا مغلظًا أنه لو رأى أبا جهل فلن يتركه حتى يموت واحد منهما!!

إنه لم يجعل حلمه أن يشارك فقط في بدر، ويقوم بمهمة التمثيل المشرف وكفى!!

ولم يكتف بأن يحلم بقتل أحد المشركين وكفى!!

ولكن جعل حلم مستقبله وقضية حياته، وهدف عمره أن يقتل هذا الطاغية، وإن كان الثمن أن يموت هو في سبيل الله!!

ا سبحان الله!!

كان من الممكن ببساطة – ولن يلومه أحد – لو قال في نفسه أقاتل رجلًا بسيطًا عاديًا من المشركين، وأترك مهمة قتل هذا الزعيم الكبير لأحد صناديد الجيش الإسلامي، أو أحد الفرسان المشهود لهم بالكفاءة في القتال.. لكن سبحان الله، كانت همته كالقمم الشامخة..

ولم يكن هذا موقفًا عاديًا.. بل كان موقفًا عجيبًا حقًا.. حتى إن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «فتعجبت لذلك!»..

ولكن عجب عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لم يتوقف عند هذا الحد، فمعاذ بن عمرو بن الجموح – رضي الله عنهما – لم يكن حالة فردية شاذة في الجيش المسلم، إنما كان له قرين مسلم صالح في مثل سنه أو أصغر، ينافسه في نفس القضية..

:

«وغمزني الآخر – معوذ بن عفراء رضي الله عنهما – فقال لي مثلها».

ثم قال: «فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه».

ورأى البطلان الصغيران الرجل الذي أُخبرا أنه سب رسول الله ﷺ، فغلى الدم في عروقهما، وتأكدت عزيمتهما على إنفاذ المهمة الجليلة التي طالما راودت أحلامهما وأفكارهما.. وأترك الكلام لمعاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه يصور الموقف الرائع، وذلك كما جاء في رواية ابن إسحاق، وفي طبقات ابن سعد رحمهما الله..

ل معاذ:

«سمعت القوم – وأبوجهل في مثل الحرجة (أي الشجر الملتف) – وهم يقولون: أبو الحكم لا يُخلص إليه»..

لقد جاء أبوجهل الزعيم القرشي الكبير في مثل غابة من الرجال الأقوياء الأشداء يحمونه ويدافعون عنه.. إنه رأس الكفر، قائد الجيش، ولاشك أن أقوى كتائب مكة ستقوم بحمايته، وهم يتنادون فيما بينهم: احذروا من قتل الزعيم الكبير، يقولون: أبوالحكم (أبوجهل) لا يخلص إليه، أي لا يصل إليه أحد من المسلمين..

ومع هذه الحماية المكثفة، والإحاطة المركزة، فإن كل ذلك لم يمنع معاذًا رضي الله عنه من أن يعزم على استكمال مهمته، وعلى تحقيق حلم حياته..

ل معاذ:

«فلما سمعتها – أي كلمة «أبوالحكم لا يخلص إليه» - جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، أي أطارت نصف ساقه تمامًا!!

سبحان الله!!

ضربة واحدة بالسيف من ساعد هذا الفتى الصغير تبتر ساقًا لرجل في لحظة واحدة!!

ا الأطباء الذين يقومون بعمليات البتر عن صعوبة ذلك!!

ا الفرسان الذي خاضوا المعارك الهائلة عن تعذر ذلك!!

عن أي شيء نتحدث يا شباب أمة الإسلام؟!

هل نتحدث عن الفروسية في أعلى درجاتها.. أم عن الشجاعة في أبهى صورها.. أم عن المهارة القتالية في أعظم فنونها.. أم عن قوة الساعد.. أم عن

عمق النظرة.. أم عن صدق الجهاد، وإخلاص النية، وقوة الإرادة. أم قبل ذلك وفوق ذلك نتحدث عن توفيق رب العالمين للمجاهدين في سبيله..

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:69].

هذا يا شباب الأمة شاب في الرابعة عشرة من عمره!!

قطع ساق أبي جهل، وهو في وسط الحماية الكافرة المكثفة بضربة واحدة!!

لقد حقق حلمه، وشفى صدره، وثأر لحبيبه رسول الله ﷺ، لكن هل كل ذلك بلا ثمن؟! مستحيل!! لابد من دماء.. فشجرة العزة لا تنمو إلا بدماء المجاهدين والشهداء..

:

«وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل – وكان مازال مشركًا في موقعة بدر – على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي»..

لقد فصلت يد الغلام الصغير عن جسده، ولم تعد معلقة إلا بجلدة!!

لقد فقد ذراعه في سبيل الله..

ولكن أتراه قد أحبط ؟! أتراه قد ندم؟! أتراه قد شعر أنه تهور؟! أتراه تمنى أن لو عاش سالمًا في المدينة بعيدًا عن الجروح والآلام والإعاقة؟!

ام..

إن كل ذلك لم يراوده مطلقًا..

إنما كان الذي يشغله في هذه اللحظات هو أن يستكمل مسيرة الجهاد في سبيل الله.. فمازال هناك أعداء يحاربون، ولابد أن يدافع المخلصون، ولو كانوا بيد واحدة!!

:

«فلقد قاتلت عامة يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها..».

لقد فصل يده تمامًا عن جسده ليكمل القتال بحرية!!

!!

وأين صاحبه الذي كان يتنافس معه في قتل الطاغية الأكبر؟

أين معوذ بن عفراء رضي الله عنهما؟

استمعوا إلى معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما يحكي عن صاحبه:

«ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء رضي الله عنهما، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رمق».

أي أن معوذ بن عفراء رضي الله عنهما أيضًا حقق أمنيته ووصل بسيفه إلى أبي جهل وهو في وسط كتيبته وحراسه، واستطاع أن يضربه ضربة أوقعته قعيدًا مشلولًا على الأرض، ولكنه مازال به رمق، وكما نعلم سيأتي بعد ذلك عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ليكمل قتل أبي جهل..

وهكذا تعادل البطلان الصغيران في المباراة التي تنافسا فيها!!

ن!!

وذهب كلاهما إلى رسول الله ﷺ يقول كل واحد منهما: أنا قتلت أبا جهل يا رسول الله..

فقال لهما رسول الله ﷺ كما جاء في البخاري ومسلم:

«هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، فنظر في السيفين وقال: «كلاكما قتله!».

لقد أقر رسول الله ﷺ بالتعادل بين المجاهدين الصغيرين..

سبحان الله!!

هل انتهت قصة الغلامين الحدثين؟!

لا يا شباب الأمة!!

ما زال في القصة فصل أخير..

لقد رأينا معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما قد فقد يده ثمنًا لجهاده وصدق عزيمته..

فماذا دفع معاذ بن عفراء رضي الله عنهما؟

لقد دفع روحه بكاملها!!

لقد استكمل الشاب الصغير جدًّا – الذي يبلغ الثالثة عشرة من عمره – مسيرة الجهاد بعد أن ساهم مساهمة جادة في قتل أبي جهل، فلم يكتف بهذا العمل المجيد، وهذا الأثر الخالد، بل قاتل هنا وهناك، حتى لقي الشهادة في سبيل الله، وهو في هذه السن المبكرة!!

..

..

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:**26**].

يحزن المرء كثيرًا عندما يشاهد كثيرًا من الشباب لا يتنافسون إلا في مجالات التشجيع لفريق كروي، والتعصب لأحد الأندية!! وليت التنافس يكون شريفًا، بل يصل كثيرًا إلى التصارع والتشاحن والبغضاء والتراشق بالألفاظ ثم بالحجارة!! وليت الشباب يتنافسون عن طريق ممارسة الرياضة، بل يتنافسون فقط في مشاهدة الرياضة، وليتهم يتنافسون في أوقات فراغهم، بل تضيع منهم أولوياتهم الواحدة تلو الأخرى!!

لينظر شباب الأمة إلى هذين المثالين الرائعين لشابين في الرابعة عشرة والثالثة عشرة من عمرهما، ليعلما أن طاقات الشباب أوسع بكثير من تخيلاتهم، وأن أحلام وأهداف الشباب يجب أن تكون على مثل هذا المستوى الراقي في التفكير..

- **أسامة بن زيد رضي الله عنهما:**

من أروع أمثلة الشباب في التاريخ..

وكلنا يحفظ له الموقف الجلل عند توليته على جيش المسلمين الخارج لحرب الرومان، لكن قبل الحديث عن هذا الموقف العظيم نذكر أن هذا ليس أول وجود للبطل الصغير، وليس أول ظهور لاسمه في التاريخ..

فقد اشترك رضي الله عنه في غزوات كثيرة قبل هذه المرة، وكان له وجود ملموس وأثر واضح..

من ذلك مثلًا سرية غالب بن عبدالله رضي الله عنه في السنة السابعة من الهجرة، وكان يبلغ من العمر وقتها أربعة عشر عامًا! وأيضًا فتح مكة وحنين وغير ذلك.

ولم يكن أسامة بن زيد رضي الله عنهما بالشخصية العابرة في حياة المسلمين، بل لم يكن كذلك في حياة رسول الله ﷺ.. لقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما شخصية معتبرة جدًّا، ومؤثرة جدًّا، ولها قيمتها.. لدرجة أن الصحابة إذا أرادوا شيئًا من رسول الله ﷺ وهابوا أن يكلموه، ذهبوا إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وطلبوا منه أن يكلم هو رسول الله ﷺ في الأمر الذي يريدون، وذلك مع صغر سنه، فلم يكن يزيد في هذه الشفاعات بين الرسول ﷺ وبين الصحابة على خمسة عشر عامًا، ولكن لمكانته عند رسول الله ﷺ، ولرجاحة عقله، وسعة أفقه، كان يُقدم لمثل هذه الأمور..

أعظم..

فقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما مشاركًا في غزوة المريسيع في السنة الخامسة من الهجرة، وهي الغزوة التي شهدت الحادث المؤسف الأليم: حادث الإفك، وطعن الطاعنون في السيدة الشريفة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما، ولم ينزل الوحي مباشرة، وإنما تأخر شهرًا كاملًا، وكان الرسول ﷺ في موقف صعب، ولا يدري حقيقة ما يفعل.. لقد ركبته الحيرة من الكلمات التي تشاع هنا وهناك، وتعقد الموقف تمامًا، وأراد الرسول الحكيم ﷺ أن يأخذ بركة الشورى، فقرر أن يستشير بعض أصحابه في الذي يجب أن يفعله في هذا المأزق الخطير.. فمن استشار؟! تخيلوا أنه أرسل إلى اثنين فقط من أصحابه ليستشيرهما في هذا الموقف المعقد، فكان أحدهما هو أسامة بن زيد رضي الله عنهما، والثاني هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

لقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما في ذلك الوقت في الثانية عشرة فقط من عمره!..

قد يظن ظان أن عقل هذا الشاب الصغير جدًّا قد لا يستوعب أصلًا القصة، ولا يفهم أبعادها أو خلفياتها، فضلًا عن أن يدلي برأي فيها.. ولكن سبحان الله.. لقد رأى رسول الله ﷺ في إمكانيات أسامة بن زيد رضي الله عنهما العقلية ما يؤهله للاستشارة في هذا الأمر الجلل، ومن الذي يستشير؟! إنه سيد الخلق، وأحكم البشر، والمعصوم رسول الله ﷺ..

هذه – والله – من أعظم مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنهما.. بل هي من أعظم مناقب الشباب بصفة عامة.. فوصول شاب إلى هذه الدرجة الراقية من العقل والفكر يفتح آفاقًا هائلة للشباب ليحسنوا استغلال طاقاتهم المدفونة في أعماقهم، وييسر لهم استيعاب القدرات المهولة التي زرعها فيهم رب العالمين جلت عظمته وقدرته..

ثم كان القرار العجيب الذي أمتعنا به رسول الله ﷺ قبل وفاته، وهو تولية هذا الشاب الصغير أسامة بن زيد رضي الله عنهما – وكان يبلغ آنذاك بالكاد ثمانية عشر عامًا – على قيادة الجيش الإسلامي الضخم المتجه إلى حرب الرومان في الشام..

والقرار عجيب فعلًا، ويحتاج إلى وقفة طويلة، وتدبر عميق..

فأسامة بن زيد رضي الله عنهما لا يرأس في هذا الجيش مجموعة من الغلمان والصبيان، أو مجموعة من البسطاء الذين ليس لهم في أمور القتال، وإنما يرأس مجموعة من أعظم العمالقة.. وهم عمالقة في كل شيء.. عمالقة في الفروسية، وفي التخطيط العسكري، وفي الإيمان، وفي السبق إلى الإسلام، وفي الخبرة، وفي الصحبة، وفي المكانة..

ل..

ألم يكن في المدينة المنورة من هو أفضل من أسامة بن زيد رضي الله عنهما لقيادة الجيش؟!

والإجابة واضحة.. فإنه – ولاشك – كان في المدينة رجال كثير على مستوى أعلى وأفضل من أسامة.. كان هناك الكثير من القادة العسكريين أمثال أبي عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو وشرحبيل بن حسنة والمثنى بن حارثة وعمرو بن العاص وغيرهم وغيرهم..

فلماذا يرفع رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما فوق كل هؤلاء؟. ولماذا يصر على ولايته رغم تردد بعض الصحابة في قبول فكرة ولاية هذا الشاب الحدث على هذا الجيش الخطير؟!

..

إن الرسول ﷺ يريد أن يوضح لنا إمكانيات الشباب وطاقاتهم.. فها هو

الشاب الصغير الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة يستطيع بجدارة أن يقود هذا الجيش الهائل بمن فيه من القادة والزعماء والأبطال..

والرسول ﷺ يريد أن يرسخ فينا أسلوب التوريث للخبرة، والتدريب للجيل الناشئ.. ولو ظل القائد الكبير قائدًا طيلة حياته دون أن يسمح بظهور الطاقات إلى جواره فإن هذا يقود الأمة – لا شك – إلى الهلكة والاضمحلال.. لكن تربية الشباب على القيادة والريادة والإدارة منذ صغر سنه يعطي الأمة أعمارًا فوق عمرها.. ويرسخ أقدامها بين غيرها من الأمم.. إنها ليست حاضرًا فقط.. بل هي المستقبل أيضًا..

ولابد أن نأخذ في الاعتبار في هذا الموقف أن الجيش الإسلامي الذي يرأسه أسامة بن زيد رضي الله عنهما لا يخرج في مهمة استطلاعية، أو مهمة تدريبية، أو مهمة بسيطة أمر النصر فيها محسوم.. إن هذا الجيش يذهب ليقابل أعتى جيوش الأرض في ذلك الزمان.. إنه جيش الإمبراطورية الرومانية العظمى.. الجيش صاحب التاريخ الطويل، والانتصارات المجيدة.. ولابد أن نلحظ هنا أن الرسول ﷺ عندما ولى أسامة بن زيد رضي الله عنهما لم يكن – بأي حال من الأحوال – يلقي بجيش المسلمين إلى التهلكة، إنما كان يعلم تمام العلم أن هذا الشاب يستطيع بكفاءة أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة، وأصر على ولايته حتى بعد أن أبدى بعض الصحابة اعتراضهم واستغرابهم لولاية هذا الشاب الصغير على هذا الجيش الخطير.. وهذا الإصرار ليزرع المعنى في قلوبنا بوضوح.. وهو المعنى الذي يخفى على عقول كثير من الآباء والمربين والدعاة.. وهو أن إمكانيات الشباب هائلة..

هذا الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما الذي لم يبلغ ثمانية عشر عامًا كان قد استكمل في سنوات عمره المعدودة فنون الفروسية والقتال والقيادة والإدارة والفقه والعلم، بحيث أصبح قادرًا على أداء هذه المهمة الخطيرة..

مع العلم يا شباب الأمة أن هذا الشاب العظيم لم يكن يتمتع بما يحلم به كثير من شباب اليوم من وضع اجتماعي معين، أو شكل وسيم، أو لباس فخم أنيق..

لقد كان هذا الشاب رجلًا بسيطًا جدًّا، وهو ابن لرجل بسيط كذلك، هو زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ، وكان أبوه ممن يُباع ويشترى، وأعتقه رسول الله ﷺ.. فأسامة رضي الله عنه كان من عائلة فقيرة بسيطة، ولم يكن ابنًا لغني من الأغنياء أو وزير أو أمير.. كما أن أسامة رضي الله عنه لم يكن شابًا وسيمًا جميلًا.. لا على العكس تمامًا.. إنه لم يكن حسن الصورة ولا جميل الوجه.. وهذا ليثبت للشباب في كل الأمة أن المقومات الحقيقية لنجاح الشاب تكمن أساسًا في دين الشاب وفي عقله وعلمه وكفاءته وتدريبه، ولا تكمن أبدًا في عرق أو عنصر أو نسب أو مال أو جمال صورة..

ولقد قال الرسول ﷺ في حقه كلمة هي فخر لكل الشباب المسلم، فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ بعثًا وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «أن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده».

رهم..

وألا ما أعظم الأمة إن يأخذ الشباب فيها وضعهم الحقيقي، ومكانتهم التي تتناسب مع طاقاتهم وقدراتهم..

..

ووددت لو ذكرت لكم تفصيلًا عن الشباب في دولة الإسلام.. ولكن هذا حديث يطول جدًّا.. وليس من غرض هذه الرسالة الحصر والاستقصاء..

ولكن فقط ضرب الأمثلة.. وراجعوا إن أردتم سير الشباب العظماء في أمة الإسلام أمثال مصعب بن عمير وسمرة بن جندب وجعفر بن أبي طالب وأسعد بن زرارة ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وغيرهم وغيرهم وغيرهم.. رضي الله عنهم جميعًا، وأكثر الله من أمثالهم..

وليس هذا العدد في جيل الصحابة فقط.. بل أيضًا في كل مراحل التاريخ الإسلامي.. وراجعوا إن شئتم شباب الإسلام أمثال أبي إدريس الخولاني ومحمد القاسم والبخاري والنووي وصلاح الدين وقطز ومحمد الفاتح وعبدالرحمن الداخل وعبدالرحمن الناصر وغيرهم..

ا..

ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين..